البيان الشافي

فى حقيقة الذكر الوافي

بقلم

حامد بن محمد العبادي

مكتبة إمام الدعوة العلمية

مكة المكرمة - حي العوالي

هاتف : ٠٢/٥٢٧٥٦١١ - ٠٢/٥٢٧٥٥٩١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ، الذي من علينا ببعثة سيد الأنام ، وأظهر دينه على سائر الأديان ، وجعله نوراً لمن أراد الهداية والتبيان ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه واقتفى أثره المطهر.

أما بعد :— فقد وقفت على رسالة للأخ الشيخ محمد صالح الجناحي العباسي ، مضمونها أفضلية الذكر جهراً ومشروعية وندب الاجتماع لذلك ، وجواز الذكر بلفظ الجلالة مجرداً من النفي والإثبات ، وجواز الذكر بالاسم المضمر (هُو هُو) ممدوداً وعلى أنه الاسم الأعظم ، ومشروعية الرقص في الذكر ، وتقسيم البدعة .

فلما قرأتها وأمعنت النظر فيها ، تبين لي بعض ما شذ فيه الأخ المؤلف ، عند ذاك ما وسعني الا بيان

الحق وتبيينه عملاً بحديث سيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، عليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، «الدين النصيحة» وإن كنت لست أهلاً لهذا الميدان ، ولكن استعانة بالله واعتماداً عليه أقول وبه التوفيق :

في غير ما آية من كتاب الله العزيز ، وغير ما حديث نبوي كريم ، أمر الله المؤمنين بذكره تعالى وحثهم عليه في مواضع كثيرة من كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وندبهم إليه لأنه حياة قلوب المؤمنين ، وزاد المتقين . وكثرة الأدلة القرآنية والأخبار النبوية وشهرتها أغنتنا عن ذكر شيء منها ، لأن المجال مجال يقين لدى كل مسلم ، فما من أحد من المسلمين والحمد لله ينكر ذلك ، إذا كان الذكر بالطريقة المأثورة عن عبدالله ورسوله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وصحابته من بعده رضوان الله عليهم أجمعين ، إذ لنا فيه صلى الله عليه وسلم وفي مشاهدي

نور نبوته من بعده أسوة حسنة ، كما قال حذيفة رضي الله عنه : «كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبَّدوها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من قبلكم» رواه أبو داود — وعنه أيضاً قال «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً وإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً» رواه البخاري .

أما الأحاديث التي استدل بها العباسي على أفضلية الذكر الجهري الجماعي فلم يأتنا بها إلا رسول الهدى والنور ، ولم ينقلها لنا إلا صحابته السبّاقون إلى كل خير قولاً وعملاً ، مع هذا فلم يرد لنا منهم حديث صحيح يعتمد عليه عنه صلى الله عليه وسلم أو عنهم أنهم تجمعوا ورفعوا أصواتهم بالذكر وتغنوا به بلحن واحد ، كما يفعل في بعض الأقطار الإسلامية غير ما ورد في الأذكار الواردة في أدبار الصلوات جهراً وبصوت منفرد .

والقول الفصل أن الشارع صلى الله عليه وسلم إن جهر بالذكر في موضع كان الجهر فيه أفضل وإن أسر في موضع آخر كان الإسرار فيه أولى وأفضل ، إذ العبادات توقيفية لا مجال للرأي فيها ، كما قررته أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وغير واحد من صحابته الكرام رضي الله عنهم كالخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه ، وغيره ومن بعده الأئمة الأعلام رحمهم الله ، كالإمام الشافعي رحمه الله وغيره لأنها صادرة عمن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي ، عمن أفعاله وأقواله وتقريراته كلها شرع ودين ، وليس غيره حجة كائناً من كان ، إذا لم يكن له نصيب من نص صحيح صريح .

فقد بعثه الله بالحنيفية السمحة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وأكمل به الدين فلا حاجة إلى الزيادة فيه . (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً) .

إذا عرفت هذا ؛ فإن الإجماع منعقد على جواز الذكر بالقلب واللسان ، كما حكى ذلك غير واحد من العلماء الأعلام ؛ كالنووي رحمه الله ، وغيره ، مع العلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتكبير ونحوه ، بل كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى كذا قال سعيد بن جبير رضي الله عنه وغيره من العلماء ــ انتهى من أذكار النووي ــ وفيه أيضاً قال : قال عطاء رحمه الله : مجالس الذكر ، هي مجالس الحلال والحرام ، كيف تشتري وتبيع وتصلي وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وأشباه ذلك .

فحصر الأحاديث الواردة بالذكر في الحلق خاصة ، لم يقم به الدليل كما يعرف من أقوال أهل العلم ، ومن اجتماع الصحابة وتحلقاتهم للتحدث والبحث في العلم وحمد الله تعالى على ما هداهم للإسلام ومنّ عليهم ببعثة سيد الأنام ، وكما ستعرف من اختيار الصحابة والتابعين الإسرار في العمل أيًّا كان نوعه ذكراً أو غيره .

هذا وقد سلك المؤلف مسلكاً عجيباً في عدم الإنصاف والانتصار للحق ، ولما لم يتحصل على دليل واحد صحيح على أفضلية الجهر بالذكر فقد خبط خبط عشواء ، وأورد حديثاً لا يصح وأقوالاً لا تمت للبحث بصلة ، وردّ أحاديث صحيحة ، وأقوالاً لأهل العلم من الصحابة والتابعين في تفاسير آيات من كتاب الله العزيز ، صريحة في عدم الجهر بالذكر فضلاً عن الأفضلية .

فهذا حديث يعلى بن شداد الذي أورده المؤلف دليلاً على أفضلية الجهر بالذكر لا يصح لأن في سنده إسماعيل بن عياش ، وراشد بن داود ، وكلاهما ضعيف تكلم فيهما غير واحد من أئمة الحديث ، كما في ميزان الاعتدال للإمام الذهبي ، وكتاب التقريب للحافظ ابن حجر .

وإليك الحديث المذكور بسنده ومتنه من رواية الإمام أحمد في مسنده ، قال : حدثنا الحكم بن

نافع أبو اليمان . قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن راشد بن داود ، عن يعلى بن شداد ، قال : حدثني أبي شداد بن أوس ، وعبادة بن الصامت حاضر يصدقه ، قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم . فقال صلى الله عليه وسلم : فيكم غريب ؟ — يعني من أهل الكتاب — فقلنا لا يا رسول الله فأمر بغلق الباب ، فقال : «ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله فرفعنا ساعة ، ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال : الحمدلله اللهم بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة فإنك لا تخلف الميعاد . ثم قال : أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم» ، وحديث جهر الفاروق رضي الله عنه بالقراءة في الصلاة النافلة ليلاً ، وإسرار الصديق بها رضي الله عنه ، وإقرارهما النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الذي أورده المؤلف كدليل لأفضلية الجهر بالذكر الجماعي ، ليس فيه متعلق كما لا يخفى .

وقد جاء في ص ٢٦ قول المؤلف ، وأما حديث «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم» الخ . فقال بعض شراح الحديث فيه الإشارة إلى أن المنع من الجهر للتيسير والإرفاق لا لكون الجهر غير مشروع .

وقوله في ص ٢٩ في تفسير قوله تعالى : (وَٱذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ) أجيب عنها بأنها مكّية إلى أن قال فقد زال هذا المعنى .

كما جاء في ص ٣٠ قوله بأن السادة الصوفية قالوا : الأمر في الآية خاص به صلى الله عليه وسلم .

وقوله في صفحة ٣١ وأما تفسير الاعتداء في (أُدْعُوا رَبَّكم تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إنَّهُ لَا يُحِبُّ المعتدين) بالجهر بالدعاء مردود بأن الراجح في تفسيره تجاوز المأمور به أو اختراع دعوة لا أصل لها .

أقول : عجباً للمؤلف في رد الحق والمكابرة فيه ومصادمته بالباطل ، بتفسير الآيات الصريحة

والأحاديث الصحيحة في عدم الجهر بالذكر ، تفاسير واهية مردود عليها ، لا تستند على شيء ، ولا يعرف قائلوها ، انتصاراً لما ادعاه ، مغمضاً عينيه عن التفاسير الحقة ، تفسير الآيات بالآيات والأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما ، وأقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين .

وإليك أيها القارىء الكريم بعض ما قاله الإمام الحافظ بن كثير رحمه الله ، وما نقله عن أئمة النقل والتفسير في الجزء الثاني في تفسير «سورة الأعراف» عند قوله تعالى : (وَٱذْكُرْ رَبكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً) قال : أي واذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهراً ولهذا قال (ودون الجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) وهكذا يستحب أن يكون الذكر ، لا يكون نداء وجهراً بليغاً ، ولهذا لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ! فأنزل الله عز وجل (وإذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي

قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَاعَانِ) وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس : أَرْبَعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» وفي رواية له رضي الله عنه قال : «كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان القوم يصعدون عقبة أو ثنية ، فإذا صعد الرجل قال : (لا إله إلا الله والله أكبر ـــ قال أحسبه قال بأعلى صوته ورسول الله ﷺ على بغلته يعرضها في الجبل ، فقال : يا أبا موسى إنكم لا تنادون أصم ولا غائباً» الحديث .

وفي تفسير قوله تعالى : (أُدْعوا رَبَّكُمْ تضرعاً وخُفْيَةً إنّه لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) قال : أرشد تبارك وتعالى عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم فقال : (أُدْعُو رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) إلى أن

قال كقوله تعالى : (وَاذْكُرْ رَبَّكَ في نَفْسِكَ) الآية فأورد حديث أبي موسى المتقدم ثم قال : «وعن عطاء الخرساني عن ابن عباس في قوله : (تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) قال : السر وقال : ابن جرير (تَضَرُّعاً) تذللاً واستكانة لطاعته (وَخُفْيَةً) يقول : بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهاراً مراءاة وقال عبد الله بن مبارك ، عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال : «إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزُّوَّار وما يشعرون به ، لقد رأينا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه في السر فيكون علانية ، أبداً ، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله يقول : (أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً)

وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً رضي فعله ، فقال (إِذْ نَادَى رَبَّـهُ نِدَاءً خَفِيًّا) .

هذا ما درج عليه الرعيل الأول عملاً بقوله تعالى : (وَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنونَ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) فماذا بعد هذا أنتم قائلون ؟

فليس بعد الحق إلا الضلال ، فاتقوا الله يا أتباع محمد ، واسلكوا طريق من قبلكم ولا تميلوا يميناً وشمالاً ، فتضلوا ضلالاً بعيداً ، وارجعوا إلى الحق فانه ضالة المؤمنين ، وقوام المتقين ، ولا تضركم كثرة الهالكين .

وجاء في ص ٢٦ قوله أيضاً : (وما نقل عن ابن مسعود فقال : ما أراكم إلا مبتدعين حتى أخرجهم من المسجد فلم يصح بل لم يرد) .

أقول : هذا كالأول في دحض الحق الذي ليس

فيه مرية ولا التباس ، فحديث ابن مسعود هذا صحيح ثابت في «مجمع الزوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي» وفي كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث للامام أبي شامة» من رواية الطبراني في الكبير والدارمي في مسنده عن عمرو بن يحيي قال : «سمعت أبي يحدث عن أبيه قال كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغداة ، فإذا خرج مشيناً معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري ، فقال : أخرج عليكم أبو عبد الرحمن بعد ؟ قلنا . لا ، فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعاً ، فقال له أبو موسى : «يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ولم أر والحمدلله إلا خيراً ، فقال : «ما هو ؟» فقال : «إن عشت فستراه» قال : «رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول : كبروا مائة ، فيكبرون مائة ، ويقول سبحوا

مائة ، فيسبحون مائة ، فيقول : هللوا مائة ، فيهللون مائة ، قال : « فماذا قلت لهم ؟ » قال : « ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك وانتظار أمرك » قال : « أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء ! » ثم مضى ، ومضينا معه حتى أتى إلى حلقة من تلك الحلق ، فوقف عليهم ، فقال : « ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ » قالوا : يا أبا عبد الرحمن : « حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح » قال : « فعدوا سيئاتكم ، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ، ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبل ، وهذه آنيته لم تكسر والذي نفسي بيده ، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد صلى الله عليه وسلم ، أومفتحوا باب ضلالة ، قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال : « وكم من مريد للخير لن يصيبه ، إن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، حدثنا أن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، وأيم الله ما أدرى لعل أكثرهم منكم ، ثم تولى عنهم » فقال عمرو بن سلمة :ـــ جد عمرو بن يحيي راوي الحديث ـــ رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهروان »أهـ .

فهذا هو الحديث الذي لا يقال من قبل الرأي ، لا ما تزعمونه وتتقولون على علماء الإسلام ما لا يقولون ، وحاشاهم أن يقولوا قولاً لم يكن لهم فيه قدوة من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده ، والتابعين المشهود لهم بالخير والأفضلية ، فأنت كما ترى هذا الصحابي الجليل والذي وقف هو وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه على تلك الحلق منكراً عليهم ما يعدون من تسبيح وتكبير وتهليل أنكر عليهم وضللهم ، وهم لم يأتوا إلا بإذكار واردة من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، غير أنهم أخطأوا الطريقة باجتماعهم هذا ، وعدهم ، فكيف

بمن أتى بألفاظ لم يتعبد الرسول بها ولا صحابته من بعده ، ولا التابعون ، وليست لها معنى في اللغة العربية كقولهم : (هو هو) و(الله الله) مجرداً من النفي والإثبات ، ويصرحون معتقدين أنه أفضل الذكر ، والنبي صلى الله عليهم وسلم يقول : «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله» فأثبت الرسول المشرع صلى الله عليه وسلم النفي والإثبات ، وجردوه هم .

أيها الناس .

راجعوا أنفسكم ، وارجعوا إلى الحق ولا تنكروا الصحيح من القول نصرة لبدعتكم .

وجاء ص ٣٢ قوله : (في ذكر الجلالة بلا نفي ولا إثبات يعني تكرار (الله الله) قال العلامة ابن حجر في جواب سائل سأله لا إله إلا الله أفضل أم ذكر الجلالة أجاب : «لا إله إلا الله أفضل عند أهل الظاهر ، وأما عند أهل الباطن فالحال يختلف) الخ .

أقول : إن تقسيمكم الذاكرين إلى أهل ظاهر ، وأهل باطن ، وتقسيمكم الذكر لكل بما يناسبه ، فبدعة لم يقم الدليل عليها ، وشرع في دين الله لم يأذن به ، وتفضيلكم الذكر بلفظ الجلالة مكرراً مجرداً من النفي والإثبات ، والذكر بالاسم المضمر (هو هو) مكرراً ممدوداً ، وأنه الاسم الأعظم ، تفضيل مخالف لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفضيل كلمة التوحيد «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله» وكما ثبت في الحديث القدسي عن نبي الله وكليمه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم أنه قال : «يا رب علمني شيئاً أذكرك به أو أدعوك به ، فقال يا موسى : قل لا إله الا الله فقال : يا رب كل عبادك يقولون هذا ، إنما أريد شيئاً تخصني به ، قال : يا موسى : لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع ، وضعن في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، لمالت بهن لا إله إلا الله» فأين ذكركم

المصطنع من هذا أأنتم أفضل أم أصفياء الله من خلقه ؟

أما استدلالكم لمشروعية الذكر بلفظ الجلالة مجرداً من النفي والاثبات بقوله تعالى : (قُلِ ادْعُو اللهَ أوِ ادْعُو الرَّحْمٰنَ أيَّاماَ تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الحُسْنَى) ، فليس في الآية الكريمة دليل لطريقتكم في الذكر بأسماء الله مكررة من غير دعاء وطلب ، وإنما الذي ورد هو الطلب والدعاء بها ، فقد روى مكحول أن رجلاً من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده : «يا رحمن يا رحيم» فقال : «إنه يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو اثنين» . فكان هذا هو السبب في نزول الآية أهـ من تفسير ابن كثير .

والمعنى كما قال غير واحد من المفسرين أي : لا فرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فإنه ذو الأسماء الحسنى أهـ من تفسير ابن كثير .

وفي الاسم الأعظم روى ابن ماجه في السنن عن ابن بريدة عن أبيه قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول : « اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب » .

فهذا ما شرعه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاء والذكر بأسماء الله ، وهذا الذي بينه لنا هو الاسم الأعظم ، الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب ، لا كما تنقلونه لنا عن فلان وعلان أنه (هُو هُو) ، وتتهمون به علماء الإسلام ، فانظروا بعين الحقيقة حتى لا يختلط عليكم الأمر ، فقد وضح وبان الطريق ، واعلموا أن أسماء الله توقيفية لم يكن لأحد معرفتها إلا عن طريق الكتاب والسنة « قاله في الإبداع » هذا وقد قال غير واحد من حملة الشريعة

يجب الذكر والنداء بجملة ؛ لأنها هي المفيدة ، ولا يصح بالاسم المفرد مظهراً أو مضمراً لأنه ليس بكلام تام ، ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ، ولا أمر ولا نهي ، ولم يذكر به أحد من السلف ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما جاءت به الشريعة في غنى عن هذا وذاك كما تقدم من الأدلة الصحيحة الصريحة الواضحة ، انتهى من الإبداع بتصرف .

وحديث : «لا تقوم الساعة ، حتى لا يقال الله الله» ليس فيه مستدل لما تقدم ، ولما ثبت في الصحيحين وغيرهما في باب الفتن وأشراط الساعة في هذا المعنى ، من أنه في آخر الزمان يقل العلم ويفشو الجهل فتعطل أحكام الله ، ويعبد غيره ، وينسى ذكره ، ثم يرسل الله ريحاً باردة فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته فعلى أشرار الخلق تقوم الساعة .

وجاء في ص ٣٩ قول المؤلف (وسئل ابن حجر عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له أصل قال نعم له أصل فقد روى أن جعفر بن أبي طالب رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له: «أشبهت خَلْقِي وَخُلُقِي» وذلك من لذة هذا الخطاب).

أقول: إن تجويزكم الرقص في الذكر، وادعاؤكم أن ذلك له أصل، وتدليلكم بأن جعفر بن أبي طالب رقص بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، مصيبة عظمى، وكارثة أحللتموها بالإسلام، وباطل لا أصل له ولا برهان. لوجوه كثيرة: منها أن نسبة هذا وأمثاله لابن حجر فرية ما فيها مرية، وكيف يقول مؤمن بصحة هذه النسبة له رحمه الله وهو قد ألف كتابه المسمى «كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع» قصد به الرد على هؤلاء الجهلة الكذابين، وشنع عليهم في نسبتهم القول بجواز الرقص للعلامة

العز ابن عبد السلام «قاله في الإبداع» .

وقال ابن الحاج في «المدخل» : وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعباد العجل ، وحاشا الله أن يقول هذا القول الشنيع حجة المسلمين وإمام العاملين الإمام ابن حجر رحمه الله انتهى .

وقال القرطبي عن الإمام الطرسوسي أنه سئل عن قوم في مكان يقرءون شيئاً من القرآن ، ثم ينشدهم منشد شيئاً من الشعر فيرقصون ويطربون ويضربون بالدف والشبابة هل الحضور معهم حلال أو حرام ؟ فأجاب : مذهب السادة أن هذا بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري الخ إلى أن قال رحمه الله ، وإنما كان النبي صلى الله عليه

وسلم مع أصحابه كأنما على رءوسهم الطير من الوقار انتهى من المدخل .

وقال الإمام الكبير ابن قدامة رحمه الله : إن فاعل هذا (يعني الرقص في الذكر) مخطىء ساقط المروءة والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع ، غير مقبول القول ، فإن هذا معصية ، ولعب ذمه الله تعالى ورسوله ، وكرهه أهل العلم وسموه بدعة ، ونهوا عن فعله ، ولا يتقرب إلى الله بمعاصيه ولا يطاع بارتكاب مناهيه ومن وسيلته إلى الله سبحانه معصية ، كان حظه الطرد والإبعاد ، ومن اتخذ اللهو واللعب ديناً كان كمن سعى في الأرض بالفساد ، ومن طلب الوصول إلى الله سبحانه من غير طريق رسول الله وسنته فهو بعيد عن الوصول إلى المراد ، انتهى من المدخل .

فهذا إنكار العلماء الأعلام وحملة شريعة سيد الأنام لهذا العمل المشين والبدعة المنكرة .

وشبهتكم في حديث جعفر هذا مردودة إذ أن هذه الزيادة لا تصح وإن صحت فمعناها أنه فرح من هذا القول الكريم فتحرك ، وهذا من عادة الإنسان وطبيعته أنه إذا أخبر بخبر سار فرح وتحرك ، ومنها أنه لا يخفي ما يجب أن يكون الذاكر عليه من الأدب والوقار والخوف والخشوع والطمأنينة كما قال تعالى (أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) وإذا اطمأنت القلوب اطمأنت الجوارح ، كما قال صلى الله عليه وسلم — للرجل الذي يعبث بلحيته في الصلاة : «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» وكما قال صلى الله عليه وسلم «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده» فأين هذا من رقصكم الذي هو هز المعاطف والأكمام ، الذي لا يفعله إلا الفساق من العوام ، تباً لقوم شبهوا مجالس الذكر بمجالس الشيطان واتخذوا دينهم هزواً ولعباً : وقال بعضهم :

يا عصبةً ما ضر أمة أحمد

وسعى على إفسادها إلاهي

رقص ومزمار ونغمة شادن

أرأيت قط عبادة بملاهي

وجاء في ص ٣٣ قوله : « النفس اللوامة الكثيرة اللوم لصاحبها التي مقامها مقام الحجب النورانية لحبها الطاعات فلذلك كانت حجبا ، ولا يملك نفسه عن الوقوع في المعصية وإن كان يكرهها » وقوله : في ص ٤١ مستشهداً على ذلك بقول ابن الوفا التلمساني في عدم الحرج عن الذين يغيبون عن الوجود هذه الأبيات :

فلا تلم السكران في حال سكره

فقد رفع التكليف في سكرنا عنا

وبعد الفنا في الله كن كيفما تشا

فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

أنظر أيها القارىء الكريم إلى هذه العبارات الركيكة المتناقضة فيما بينها وليت هذا فقط ، ولكن جرت ويلاتها على ديننا الحنيف ، وتسمت به وهي متلبسة بثوب الزندقة والكفر والإلحاد ، فهم يصرحون كما ترى ، أنهم مهما ارتكبوا من محارم ، وانتهكوا من معاص ، فليس عليهم حرج فيما يفعلون ، لأنهم رفعوا التكاليف الشرعية عنهم بكفرهم وإلحادهم والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم يقول « رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ ، والمجنون حتى يفيق ، والصبي حتى يبلغ » فمتى قال عليه الصلاة والسلام وعن الغائب عن الوجود حتى يرجع إلى وجوده ، اللهم إلا أن يكونوا مجانين ولعلهم كذلك . وإلا فإن الدنيا دار تكليف وعمل ، والآخرة دار الثواب والجزاء عليه .

وفي البيتين تصريح بمذهب الزنادقة الحلولية الذين يعتقدون أن الله حال في كل شيء تعالى عما يقوله

الكافرون علواً كبيراً . ومذهب الزنادقة الإباحية ، المعتقدين أن ما حرم على غيرهم يكون مباحاً لهم فعله ، وزعموا أن الحجب النورانية قد كشفت لهم فحل لهم كل محرم ، وحرم غيرهم من تلك الحجب فعوقب بالتحريم ، وهؤلاء هم المتأخرون من غلاة الصوفية .

وجاء في ص ٤٥ قول المؤلف : «قال العز بن عبد السلام رحمه الله : البدعة فعل ما لم يعهد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتنقسم إلى خمسة أقسام الخ» .

كما جاء في ص ٤٦ قوله : «قال الشيخ أبو شامة : ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبته انتهى» .

أقول : قال في «القاموس» في معنى البدعة : البدعة الحدث في الدين بعد الإكمال أو ما استحدث بعد النبي صلى الله عليه وسلم في الأهواء والأعمال . أو العمل الذي لا دليل عليه في الشرع .

وقال المحقق الشاطبي في كتابه «الاعتصام» : البدعة : الاختراع على غير مثال سبق من الشارع .

هذا وقد عاب كثير من المحققين منهم المحقق الشاطبي في «الاعتصام» هذا التقسيم ورد على من قسم البدع إلى خمسة أقسام وبين أن التقسيم لا يدل عليه عقل ولا نقل .

وقال الشيخ على محفوظ في كتابه : «الإبداع في مضار الابتداع» : البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة ، يقصد بالسلوك عليها ، المبالغة في التعبد لله تعالى ثم قال : ولما كانت الطرائق في الدين تنقسم فمنها ما له أصل ، ومنها ما ليس له أصل ،

خص منها ما هو المقصود بالحدود ، وهو القسم المخترع أي : طريقة ابتدعت على غير مثال سبقها من الشارع ، إذ البدعة إنما خاصتها أنها خارجة عما رسمه الشارع فمعنى مخترعة أنها لم يكن لها أصل في الشريعة ، وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادىء الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين كالنحو والتصريف ومفردات اللغة وأصول الفقه وأصول الدين وسائر العلوم الخادمة للشريعة ، فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول فلها أصل في الدين فلا تسمى بدعة ، ومن سماها بدعة فإما على المجاز كما سمى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قيام رمضان بدعة ، وإما جهلاً بمواقع السنة فلا يعتمد عليه ، وقال : إن البدع إنما تكون في المقاصد ، بخلاف المصالح المرسلة فإنها تكون في الوسائل ، ولهذا أرجعها بعضهم إلى قاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) فالبدع تكون في التعبدات ، وشأن التعبدات أن لا تكون معقولة

المعنى على التفصيل ، والمصالح تكون في المعقول معناها على التفصيل ، لأنها من باب الوسائل ، والبدع من باب المقاصد ، وشتان ما بين الوسائل والمقاصد فكيف مع هذا تشتبه البدعة بالمصالح المرسلة ؟ وكيف يحتج بالمصالح المرسلة التي عمل بها الصحابة على جواز الابتداع في الدين ، والسر في اعتبار المصلحة المرسلة في المعاملات دون العبادات أن العبادات حق الشارع خاصة ، ولا يمكن معرفة حقه كمًّا وكيفاً وزماناً ومكاناً إلا من جهته فيأتي به العهد على ما رسمه له .

أما استدلال المؤلف على البدعة المستحسنة بقول أبي شامة : «ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبته» فاستدلال غير مرضي لدى عامة المحققين من حملة

الشريعة ، لما علمت من سالف أقوالهم في معنى البدعة وتقسيمها ، ولأن أبا شامة رحمه الله استحسن ذلك لما رأى ملك (إربل) يفعله كما قال في كتابه «الباعث على إنكار البدع والحوادث» : و«كان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملّا أحد الصالحين المشهورين وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل» . اهـ .

فلم يأتنا أبو شامة رحمه الله ببرهان شرعي صحيح ، وإنما الذي أتى به استحسان وليس لأحد أن يستحسن في دين الله ما ليس منه ، بعد قول الله تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلَامَ دِيناً) وبعد قول النبي الكريم : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» ولأن الواجب كل الوجوب ، أن يشعر الإنسان المسلم بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم دوماً ، وفي كل لحظة في حياته اتباعاً له في أخلاقه وعاداته من جود

وسخاء وإحسان إلى الفقراء ، ومعاشرة الناس باللين والصفح ، وإيصال السرور إلى قلوب المؤمنين من عباده تعالى ، فلا يكون المرء مؤمناً حتى يكون النبي صلى الله عليه وسلم أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين بل ومن نفسه التي بين جنبيه ، كما لا يكون مؤمناً حتى يكون هواه وميله وسيرته تبعاً لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، فقد صرحت بذلك الآيات القرآنية وصحت به الأخبار النبوية . لا ابتداعاً بتخصيص شهر أو يوم من زمان ولادته صلى الله عليه وسلم لإظهار الزينة والسرور فيه ، مع العلم بأنه اليوم الموافق ليوم وفاته صلى الله عليه وسلم كما هو موضح في كتب السير ، فإظهار الفرح والسرور في هذا الزمان بالذات أمر لا يليق بالمسلم فعله لأن وفاته صلى الله عليه وسلم تعتبر مصيبة عظمى على هذه الأمة ، مع ما يفعل في هذا اليوم بل وفي هذا الشهر من بدع ومحرمات ، كالاستغاثات به ، وطلب المدد منه ، والقيام والقبض

اللذان هما من خصائص الصلاة التي هي من خصائص الألوهية وإطراؤه ورفعه فوق منزلته ، وقد نهى هو صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله ، وصرحت به آيات الكتاب العزيز في غير موضع ، وأنكر العلماء المحققون هذا العمل وشنعوا على فاعليه أشد التشنيع ، فقد قال في « المدخل » في الجزء الثاني ص ٢ « فصل في المولد » : « ومن جملة ما أحدثوه من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات ، وإظهار الشعائر ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد ، وقد احتوى على بدع ومحرمات جملة » ، وقال في ص ١٠ « فانظر رحمنا الله وإياك إلى مخالفة السنة ، وما أشنعها وما أقبحها ، وكيف تجر إلى المحرمات ألا ترى أنهم لما خالفوا السنة المطهرة ، وفعلوا المولد لم يقتصروا على فعله بل زادوا عليه ما تقدم من الأباطيل المتعددة ، فالسعيد السعيد من شدّ يده على امتثال الكتاب والسنة والطريقة الموصلة إلى ذلك وهي اتباع السلف الماضين

رضوان الله عليهم أجمعين ؛ لأنهم أعلم بالسنة منا ، إذ هم أعرف بالمقال وأفقه بالحال ، وكذلك الاقتداء بمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وليحذر من عوائد أهل الوقت ، وممن يفعل العوائد الرديئة ، وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد ، إذا عمل بالسماع فإن خلا منه وعمل طعاماً فقط ونوى به المولد ، ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط ، إذ أن ذلك زيادة في الدين ، وليس من عمل السلف الماضين ، واتباع السلف أولى بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه ، لأنهم أشد الناس اتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً له ولسننه صلى الله عليه وسلم ، ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم ، وقد علم أن اتباعهم في المصادر والموارد كما قال الشيخ أبو طالب المكي في كتابه : «وقد جاء الخبر : لا تقوم

الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً» وقد قال بعض الأدباء في وصف زماننا هذا كأنه شاهده :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم
بعضاً ليدفع معور عن معور
أَبُنَيَّ إن من الرجال بهيمة
في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله
فإذا أصيب بدينه لم يشعر
فسل الفقيه تكن فقيهاً مثله
من يسع في علم بلب يظفر

(خاتمة) أما ما يزعمه العوام من قياس الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم على ما يصنع للملوك والرؤساء من عيد الجلوس والميلاد ونحوه فقياس فاسد لدى من له أدنى مسكة من عقل ؛ لأن هذه الأعياد

والمواسم أجنبية ودخيلة على الإسلام ومما ابتلى به المسلمون ، وفشا بين العامة والخاصة مشاركة الأجانب في كثير من مواسمهم ، كاستحسان كثير من عوائدهم ، وقد كان ﷺ يكره موافقتهم في كل الأحوال حتى قالت اليهود : إن محمداً يريدأن لا يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه . وقال صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أجل وأعظم من أن يقاس بأي عظيم كان من المخلوقين ، فقد رفعه الله وعظمه وقرن اسمه صلى الله عليه وسلم باسمه تعالى . فأين هذه المزية العالية ، والدرجة الرفيعة لأحد من العظماء .

هذا مما منّ الله به علي ويسره ، جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ورزقنا محبة نبيه الأمين ، وسلك بنا نهجه القويم ، وصلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وأنصاره إلى يوم الدين .

قاله جامعة الفقير إلى رحمة ربه الهادي ، حامد بن محمد العبادي عفا الله عنه وعن والديه ومشائخه وأحبابه والمسلمين أجمعين ، وقد تم في يوم الثلاثاء الموافق ١٦ من شهر ربيع الثاني عام ألف وثلاثمائة وواحد وثمانين من الهجرة النبوية بمكة المكرمة .

وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين .



طبعت بمطابع دار طيبة - الرياض السويدي
شارع عبدالملك بن هشام - ت: ٤٢٨٣٨٤٠